# أربعون عام من الفقر

## سيد أحمد أمين

رواية

أربعون عام من الفقر
رواية
سيد أحمد أمين

إصدار: ديسمبر ٢٠١٨

رقم الإيداع
2018MO5358

الترقيم الدولي
978-9920-9770-9-8

الغلاف والإخراج الفني:
دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر
رقم الإصدار: ( ٢١٩ )






**منشورات دار لوتس للنشر الحر**
شركة لوتس للإنتاج والتوزيع
**القاهرة الكبرى:**
١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول
شارع فيصل بجوار محطة مترو فيصل
هاتف: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ ٠١١١٦٣٨٩٣٤٧
**الإسكندرية:**
٦ شارع بن دينار محرم بك امبروزو
هاتف: ٠١٠٦٨٦٣٨٣٧٧
**المغرب: الدار البيضاء**
٢٧٠ زنقة ١٦ حي البركة مولاي رشيد
هاتف: ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

مشروع النشر الحر
أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

**للتواصل مع الدار والمشروع**
هاتف / واتس آب:
+2 01116389347 +2 01091985809
الموقع الإلكتروني:
www.lotusfreepub.com
البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com
صفحة فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub

# إهداء

أهدى هذا العمل لكل من ساهم في نشر هذا العمل ولأبوي ولكل قارئ محب للقراءة.

# مقدمة الرواية

أربعون عام من الفقر هي قصة حقيقية لشخص ولد في مدينة تتأجج بأصوات الحيوانات الضالة والتي لا تترك أي شخص حتى تنهش لحمه وتتركه وحده يأن حتى يموت والناس تشاهد هذا كله ولا مغيث بل منهم من يرقص لتلك الحيوانات الشرسة ومنهم من يطبل لها ويصفق لها ويغني لها ويهتف باسمها بل منهم من ركع وسجد بين يديها كأنها الله سبحانه وتعالى فما يزيد تلك الحيوانات إلا ظلماً وطغياناً فامتلأت البلاد بالدماء وأشلاء الأطفال فلم تعد ترى إلا منظر الدماء والصحراء والفقراء وتجار الموت الذين يعبثون بأرواح وحياة الأبرياء.

# الفصل الأول

يولد محمود لأب فقير وأم أميةّ؛ ولكنهما مُلئا بالحنان والعطف والعطاء فمع هذا الفقر والخوف الذي يعيشونه إلا أنهما لم يشعراه أبدأ بالجوع ولا الحاجة أو حرمان فكل ما يطلبه يجده وكل ما يلزمه تحت أمره فهذا الأب يدافع عن أبنائه دوماً بكل قوته لا يهاب الموت ولكنه القدر الذي اختاره الله له، فحكمة الله لا يعلمها إلا الله فهو يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فيموت الوالد في الخمسينات من عمره ويترك محمود لأم لا تملك سوى أن تكون في بيتها تطهوا وتنظف ثيابهم أما الآن فصار البيت بلا راع سواها ولكن محمود الذي لم يتجاوز الخمسة عشرة حتى الآن يأبى إلا أن يذهب فيبحث عن عمل ويترك دراسته فلا مكان للعلم وسط الفقر والجوع، ويجد عملاً في مطعم فيعمل محمود في بعض المطاعم فيغسل الأطباق ويساعد من هم اكبر منه في المطعم

سناً وحرفة فهو لم يتجاوز عمره الخامسة عشر حتى الآن ويأتي من يريد الزواج بأخته بعدما كبرت وصارت في العشرين من عمرها ويتزوج أختها شاب من عائلة بسيطة أيضاً ويعمل في مصنع لصناعة الأواني الفخارية فلا يتقاضى الكثير من الأموال ولكن أبوه ترك له منزلاً ورثه عن أبيه فتتزوج أخته وتترك له المنزل وليس به إلا أمه وبعض الأشياء التي ينامون عليها ويضعون فيها أمتعتهم وسرعان ما يكبر محمود وتكبر معه الدنيا بما تحمله من متاعب وألم وعنت وفي طريقه إلى المنزل تجلس بجواره فتاة لفت نظره شدة نظرها له فكان يتوق إلى علاقة في يوم ما فقد كان يسمع من رفاقه في العمل والشارع قصصهم وحكايتهم المثيرة عن تلك الفتيات، فأخذ ينظر إليها في خجلٍ فهو لم يعتاد أن يكلم فتاة غير أخته ولكنها كسرت هذا الحاجز المنيع وقالت له:

- هل شيماء أختك؟

فنظر إليها في استغرابٍ ولكنه فرح بكلامها معه، فقال لها:

- أتعرفين شيماء أختي الكبيرة؟

فقالت له:

- نعم؛ هي من كانت تذاكر لي دروسي في الصغر وكنت احبها جداً وكانت تعلمني القراءة والكتابة وأنت تلعب مع الأطفال الذين كانوا في نفس عمرنا. فدهش محمود من كلامها وابتسم

ابتسامة رقيقة يكسوها الخجل فقال لها:
- وانت ما اسمك؟
فقالت:
- اسمي هدير، وانت ما اسمك؟ لقد نسيت.
فنظر إليها وقال:
- اسمي محمود.
ثم سكت فقالت له:
- في أي مدرسة الآن؟
فنظر إليها محمود وعينيه قد ملأت بالدموع وقال في حزن:
- أنا.. لقد تركت المدرسة منذ أن مات أبي.
فقالت له هدير:
- وماذا تعمل الآن؟
- أعمل في مطعم للكشري حتى أستطيع أن انفق على أمي ونفسي فليس لنا أي دخل منذ أن مات أبي.
وانتهى الطريق وهمت هدير أن تنزل فقالت لمحمود: - أتركب كل يوم هذا الأوتوبيس في نفس الوقت؟ فقال لها:
- نعم، كل يوم في نفس الميعاد فأنتهي من عملي وأذهب إلى المنزل، وأنتِ؟
فقالت:
- وأنا أنتهي من دراستي في نفس الموعد، هيا غداً نلتقي، سلام.

فنظر إليها محمود وقال:
- غداً أراك.
وتنزل قبله بعدة محطات، ويهيم في التفكير بها حتى ينزل فقد خطفت لبه بمنظرها البراق ولون عينيها الساحرتين وحسن منطقها وعذوبة صوتها الدافئ الذي يخرج كأنه لحن جميل لأفضل الملحنين، وينزل بعد قليل إلى منزله ولا يفكر إلا بها، ولا يشغله سوى منظرها الأخاذ، ويأتي الغد بعدما سهر طوال الليل يفكر في الغد وينتظر انتهاء عمله على أحر من الجمر ويتقابلا سوياً مرة أخرى في الأوتوبيس، ويسر كلٌ منهما بالآخر، ويجلس محمود بجوارها فهو من داخله كأنه دخل الجنة من أوسع أبوابها، فتبتسم هدير ابتسامة هادئة وتقول لمحمود:
- كيف حالك؟
فيبتسم قائلاً:
- الحمد لله علي كل حال.
- السماء بها من الغيوم الكثير.
- إنها ستمطر.
- لا، لن تمطر فنحن لا تمطر عندنا إلا مرة أو مرتين في العام.
- أود أن أجلس معكِ بعض الوقت، هيا لننزل المحطة القادمة ونجلس في هذه الحديقة القادمة فهي من أروع الحدائق العامة.

فأمسك بيدها حتى دخلا إلى الحديقة، وأخذا يتحدثان مع بعضهما عن سكنهما ودراستها وما عاشوه من أيام وكيف يعيشون، فيعترف محمود لهدير بحبه لها، وأنه يفكر فيها من لحظة أن شاهدها فقالت له:

- أنت متسرع، هل يأتي الحب من ليلة وضحاها؟ هكذا نحن لم نزل لا نعرف ماهيةّ علاقتنا هل نحن أصدقاء أم ماذا؟

- ولكني لا أعرف أية فتاة غيرك، فقد أحببتك من أول نظرة ومن أول لقاء كأننا نعرف بعصنا من سنوات طوال، أما تسمعين عن الحب من أول نظرة؟

- سمعت ولكن دعنا نتعرف على بعض أكثر..

- كما تشائين، ولكني لن أغيّر رأي، فأنا أحببتك، وما زلت أحبك، ولن أحب غيرك ما دمت علي قيد الحياة.

- كلامك يا محمود سوف يجعلني أحبك، هيا كفى إليوم، هيا لنذهب إلى منازلنا وغداً نلتقي.

فقام محمود وانصرفا إلى بيوتهما، وفي إليوم التإلى تفتقد هدير حبيبها محمود، فلم تره هذا إليوم، فغضبت وأخذت تبحث في هاتفها المحمول عن رقم لمحمود أو صفحة على الفيسبوك عساها أن تكلمه، ولكنها لم تجد أي شيء يدلها عليه وعلى عنوانه، ويمضي إليوم وإليوم الثاني والثالث، فلم تره حتى شغل يومها وليلها كله، فأخذت تسأل عن عنوانه الجديد بعدما

ذهبت إلى عنوانه القديم وعلمت أنه ترك هذا المنزل هو وأمه بعد وفاة الوالد، ولكنها لم تيأس ولم تفتر حتى وصلت إلى عنوانه، وقرعت جرس المنزل ففتحت أمه الباب، فقالت هدير:

- السلام عليكم.

فقالت أم محمود:

- وعليكم السلام ورحمة الله، ماذا تودين أن أقدم لكِ؟

فقالت هدير:

- أسأل عن محمود، هل هو هنا؟

فقالت الأم:

- نعم هو بالداخل، ولكنه مريض ويلازم الفراش.

فدخلت هدير عليه؛ فإذا به من الإعياء ما به، وبه حُمة ورجفة ملحوظة حتى إنه لا يكاد يصلب رأسه، فجلست بجواره هدير وهي تخاطبه بلطف قائلةً له:

- ماذا جرى يا محمود؟ ماذا ألم بك؟

فنظر إليها وقال بصوت خافت وعينيه شبه مغمضتين:

- أحبك يا هدير.

فقالت له:

- لا تتعب نفسك واسترح.

ثم دخلت الأم بما أعدته من شراب لهدير، فتناولته هدير، ثم

رشفت منه رشفة، ثم خرجت أم محمود، وبعد قليل دخلت ومعها الدواء وبعض الطعام كالمرقة وقطعة لحم، وجلست بجوارهما وقالت لمحمود:

- هيا يا محمود، قم لتأكل أي شيء حتى تأخذ الدواء.

فلم يستجب، فهمست أمه لهدير وقالت لها:

- أجلسيه يا بنيتي فلعله يسمع كلامك ويجلس لتناول أي طعام فهو لم يذق طعام منذ ثلاثة أيام.

فقالت لها هدير:

- سأفعل يا أمي.

وأخذت هدير تجلسه وهي تقول له:

- هيا يا محمود، هيا اجلس، أتريدني أن أذهب وأرحل؟

فنظر إليها محمود وحاول أن يجلس حتي اعتدل بعض الشيء وهو ينظر إليها ويحدق في وجهها، فاقتربت منه ووضعت يدها خلف ظهره، ثم أمسكت بالملعقة وأخذت تحسوا له من المرقة وتناوله في فيه، وهو يحتسي المرقة وينظر إلى عينيها في تأمل بالغ، أنسته مرضه وما هو فيه، ثم أخذت تقطع له قطع اللحم وهو يأكل، ولم يكمل طعامه كله وقال لها:

- كفى لا أستطيع، فحاولت معه ولكنه امتنع فناولته الدواء ثم جلست معه بعض الوقت وقالت له:

- سأنصرف الآن لقد تأخرت.

فأمسك محمود بيدها وهمس لها قائلاً:
- أحبك يا هدير.
فجاوبته:
- وأنا كذلك.
وتركته وانصرفت إلى منزلها فهي عادة ما تكون لوحدها، فأبيها قد طلق أمها وانفصلا عن بعضهما وتزوج الأب وتزوجت الأم فهي تقيم مع عمتها المسنة لوحدهما، فلا رقيب عليها من أحد سوى عمتها التي لا تكاد تقوم من سريرها إلا لدخولها الخلاء، أو لضرورة قصوي، فقدميها وظهرها قد أنهكهما المرض.
وفي اليوم التالى تذهب إلى محمود في منزله لتراه وتطمأن عليه، فتدخل عليه فتجده قد برأ بعض الشيء فأخذت تداعبه وتقول له:
- هيا يا محمود، هيا لتنزل إلى عملك، أم اعتدت على الراحة والتدليل؟ هيا..
ثم جلست بجواره، فقالت الأم:
- والله يا بنيتي لقد برأ على يديك منذ أن جئت إلى هنا.
وكانت في المنزل أخته شيماء فصافحت هدير ورحبت بها وأخذا يتذكرا ما كان في الماضي وما كان بينهما من ود ومذاكرة، ولم تلبث هدير هذه المرة أن تجلس كثيراً، وانصرفت هدير على الفور لتذهب إلى بيتها وهي تفكر في محمود وفي شأنه

وتقول في نفسها:

- لماذا نحن هكذا؟ لمَ العذاب وما نحن فيه من عنت فشتات وضياع وذل وحرمان من أي شيء؟ إما أن نحرم المال أو نحرم من الأب أو الأم أو من كلاهما.. تعب كلها الحياة، ما بها من أحد سعيد أو منّعم بكل شيء، لابد من النقصان فالكمال لله وحده ونحن لسنا في جنة بل هي الدنيا يخفض فيها الله ويرفع ويعز ويذل فلو كانت فيها سعادة دائمةً ما سميت دنيا، ولكن السعيد من رزق بحب الله والقرب من مولاه سبحانه وتعالى.

وتصل هدير إلى المنزل فتجد نفسها في خلوة ووحدة بين الفيس والإنترنت، وما من أحد يملأ عليها المكان، فتهيم في التفكير بمحمود وتتصل به فقد أخذت منه رقم الهاتف والحساب الذي يملكه للفيس بوك، وتكلمه هدير عبر الهاتف ويرد عليها فيقول لها محمود:

- كيف حالك يا هدير؟

- الحمد لله، وأنت كيف أنت الآن؟ هل أنت علي ما يرام؟

- أحمد الله سبحانه وتعالى، وأشعر بتحسن بعض الشيء، فمنذ أن رأيتك وأنا في تحسن وسعادة بالغة لا تضاهيها سعادة.

- ما هذا؟ ما كل هذا؟ لقد صرت تقول الشعر بعدما مرضت.

- ماذا تفعلين الآن هل أنت نائمة؟

- لا، لست نائمة، أنا لا أنام الآن فالتفكير والوحدة تقتلني.

- حدثيني عبر الماسنجر فإني أود أن أرى وجهك الوضاء الذي يشرق بالنور فقد افتقدتك وأحب أن أرى طلعتك البهية.
صوت الهاتف يخبره ببدء المحادثة عبر الماسينجر فيفتح هاتفه فيسمع صوتها ويري وجهها، وظلا يتحدثا لأكثر من ساعة، ثم ينهي محمود المحادثة بعدما يسمع هدير تصرخ تبكي فهي ذهبت إلى الداخل لتقدم لعمتها الطعام فوجدتها قد فارقت الحياة فقال لها محمود:
- ماذا حدث؟
فقالت له وهي تبكي، لقد ماتت عمتي وتغلق الهاتف ويغلق محمود ويأتي إليها مسرعاً فيجد الناس قد ملأت المكان ولم يقدر محمود أن يصل إليها من كثرة الناس ولكنه لم يملك إلا أن يتصل بها ويعرفها أنه هنا ولكنه كان يود أن يسارع في فعل أي شيء معها ولكنه لم يستطع من الناس ولا سيمّا وأن والدها وأهلها لا يعرفونه ولا يعرفون من هو، فيحضر محمود مراسم الجنازة حتى تشيع وتدفن.
وتمر الأيام تباعاً فالأيام والليالى تمر سراعاً، فالسنة كالشهر والشهر كالأسبوع والأسبوع كاليوم، لا بركة في وقت أو أي شيء في هذه الأيام، كل شيء لا يعود لأصله، فتتصل هدير بمحمود بعد مرور أكثر من أسبوع على وفاة عمتها وتقول له:
- لقد اشتقت إليك يا محمود.

- وأنا أكثر، لقد اشتقت إلى منظر وجهك المضيء ولمسة يديك الساحرة.
- أنا أجلس في المنزل بمفردي، ألا تأتي إليَّ أم عندك ما يشغلك الآن؟
- لا ليس عندي ما يشغلني سواك، فأنت لي كل شيء، ولكن ما الساعة الآن؟
- الساعة العاشرة وسبع دقائق، ولكن لماذا تسأل عن الساعة؟
- حتي أرى إن كان الوقت مناسب لأن أذهب إليك الآن.
- لا ليس هناك ما يمنعك من تأتي إليَّ، أنا في انتظارك.
- وهو كذلك.

ثم أنهى محمود مكالمته معها ليرتدي ملابسه، وبعد دقائق من الوقت يجد نفسه عندها أمام منزلها فيتصل بها ليقول لها:

- أنا أمام المنزل هيا افتحي.

فتنزل مسرعة نحوه لتفتح له الباب وثغرها الباسم جعله يهتز طرباً، أما هي فسعادتها به قد ظهرت على وجهها فوجهها يتهلل فرحاً، ويدخلا معاً إلى الداخل.

ابتسم محمود قائلاً:

- لو جاء والدك أو جاءت أمك ماذا نفعل؟ هل يعطونك الحرية إلى هذا الحد؟
- لا، ليست حرية بل هما ليسا في مصر هذه الأيام، فأمي مع

زوجها في لبنان وأبي قد غادر القاهرة منذ أن ماتت عمتي لتركيا وترك لي بعض المال حتى يعود.

- لا تغضبي من كلامي فأنا لا أقصد مضايقتك، فأنا أحبك.

ثم أمسك بيدها ونظر في عينيها وأخذا يحدقا في بعضهما بعض الوقت، ثم قالت له هدير:

- هيا اجلس.

فترك محمود يدها وجلس على المقعد، ثم تركته هدير ودخلت لتأتي له بالشاي، وبعد برهة أتت له بكوب الشاي وجلست بجانبه وتبادلا أطراف الحديث، فقال لها:

- كيف تنامين بمفردك في هذا المنزل الكبير؟

- نعم أعيش فيه بمفردي دون أي شيء، فقد اعتدت علي ذلك.

وأخد محمود يرتشف الشاي وينتهي منه، ثم يقترب من هدير حتي يضع ذراعه على كتفها ويجعلها ترتمي في حضنه وهو يقبل يدها ويقربها منه أكثر وأكثر، ثم ينام على فخذيها وهي تمسح على شعره وتداعب وجهه.

ويظلا يتحدثا حتى اعتدل محمود وضم وجهها إلى وجهه وضم شفتيها إلى شفتيه، وأخذ يقبلها وجنتيها، ثم وضعت هدير يدها على شفتيه وقالت له:

- سوف أذهب لأحضر العشاء، فقد بلغت من الجوع مبلغاً.

فقال محمود:

- على الرحب والسعة
وتدخل هدير لتحضر الطعام، وتتصل أم محمود به وتسأله:
- لماذا تأخرت هكذا؟
فقال محمود:
- عندي بعض العمل هذه الليلة وسوف أعود عندما انتهى من العمل.
وتأتي هدير بالطعام وتقول لمحمود:
- هيا لنأكل.
فيتقدم محمود ليأكل ويتناول لقيمات ويقول لها:
- أأنت من طهيت هذا الطعام؟
- نعم، أعرف أني لا أجيد الطهي ولكني أتعلم.
- بل العكس صحيح، فالطعام لذيذ وشهي وأنت طاهية جيدة، من علمك الطهي؟
- إنها عمتي من علمتني كل شيء، فقد علمتني أن أنظف ملابسي وأطهو الطعام وأنظف وأرتب المنزل وأعتمد على نفسي في كل شئون المنزل.
- إنها عمة رائعة ولها بنت أخ أروع وأجمل.
- بل أنت أروع رجل وأول رجل أعرفه.
ويقوم محمود ليغسل يديه وهو يقول لها:
- سلمت يدك.

وتبتسم هدير وتقول له:
- إنك لم تشبع، لِمَ لم تكمل طعامك؟
فيقول لها محمود:
- الحمد لله لقد شبعت.
وتقوم هدير من طعامها وتلملم الأواني وما بقي من طعام وتذهب إلى غرفتها، وبعد قليل تأتي وقد ارتدت أجمل اللباس وأنضر الثياب وقد أتت بشراب من خمر، فلما رأى هذا محمود لفت انتباهه فحملق بعينيه وأفسح لها المكان حتي تجلس، وتناول منها الشراب بعدما وقف وأخذ منها ما أتت به ولم يملك نفسه فوضع يده علي ذراعيها وقربها منه وقال لها:
- ما أجملك وما أحلاك بهذا اللباس الفتان المبهر.
فنظرت إليه هدير وقالت له:
- أحبك يا محمود.
فضمها إليه وقبلها قبلة ساخنة دامت لأكثر من دقيقة، ولكن هدير هدأته وقالت له:
- هيا لنتناول الشراب أولاء
فأخذا يشربا حتى ثملا، فقال لها محمود:
- أريد أن أرى غرفة نومك.
فقالت له هدير:
- تعالى لترها.

فدخلا الغرفة وهما يترنحان حتى ارتميا معاً على السرير، فقبلا بعضهما وأخذ محمود يقبلها، ويتعانقا، وأمضوا الليل كله كأنهما في ليلة عرسهما، وبعد ليل قضوه مع بعضهما استيقظا في الصباح على كابوس ما فعلاه، لتندم هي على ما فعلته، ويندم هو أيضاً، ولكن حبهما جعلهما لا يتأثران بما فعلاه، فقد شعرا بلذة ونشوة لم يشعران بها من قبل، ولم تنقطع العلاقة بالذي حدث بل تمادا في حبهما لبعض مرات ومرات، كل يوم تقريباً، حتى أنه كان يكذب على أمه ويقول لها أنه يسهر في العمل أو يعمل ثانية ليلاً، فيجتمع محمود مع هدير على الفراش وتقترب أنفاسهما مع بعضها وتتعانق الأرواح وتقترب الشفاه ويداعبا بعضهما حتى الفجر، فيشربا ويأكلا ويسهرا ويناما في أحضان بعضهما، الوجه في الوجه والشفاه على الشفاه، وتفترش هي ذراعه لتنام عليها ويضع هو يده علي رقبتها ويناما كما ولدتهما أمهما على السرير وفي سكون الليل وصوت الظلام وهمسات القلوب وتلاقي الأحبة ببعضهما كأن السماء تمطر حنيناً ودفئاً وخلو المكان من أي أحد غيرهما يعطي الروح السكينة والدعة مما يجعل القلب ينبض بلحن الحب الصافي ويغرد كالعصفور فوق الغصن مبتهجاً وسعيداً، ويحلمان وكأنهما في جنة لا آخر لها، فجمال الحب وتلاقي الجسد بالجسد شهوة ولذة لا يضاهيها لذة، ولا سيمّا لو أن

هذا الجسد قد حرم من هذا التلاقي من قبل وما أجمله لو كان الجمال شيمة المحبوبين جمال الروح وجمال الجسد فتجد المحبوب يتمني أن يتذوق كل شيء في جسد محبوبه.

# الفصل الثاني

وتأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، ويذهب محمود إلى العمل في كل يوم به من التعب والإرهاق ما به، فتراه مرهق البدن ثقيل الحركة صعب المراس ويغيب يوماً ويذهب يوماً حتى إذا ذهب يوماً من الأيام ليلاً كعادته إلى بيت هدير ويفتح الباب كما يفعل كل يوم فهي قد أعطته المفتاح، وبينما هو كذلك وجد الباب مفتوحاً ووجد هدير تصرخ، فأسرع إلى الداخل ليجد شاباً في الثلاثين من عمره يضرب هدير ويحاول اغتصابها. ويدخل محمود عليه فيرفعه عنها ويضربه ولكن هذا الفتي لم يخشي من محمود فرد له الضربة ولكن محمود أمسك بسكين كان ملقى على الأرض، وأخذ يطعن هذا الشاب عدة طعنات مما أودت بحياته على الفور، وملأت الدماء المكان، وصرخت هدير صرخة جعلت من بالخارج يأتون مسرعين ويجتمع الناس وتأتي الشرطة ويقبضون على محمود ويأخذونه إلى السجن.

وهناك وما أدراك ما هناك؟ فحرمان  وعنت وضيق، فيقبع محمود في السجن بين الجدران التي تحكي مئات الحكايات عن أناس سجنوا في هذا المكان ويحرم محمود من حبيبة قلبه هدير والتي شاء القدر أن يفعل بهما هذا، ويأتي الليل عليه يذكره بما كان، ويتذكر أمه التي يفكر في أمرها وكيف تعيش من دونه.

وتمضي الأيام والليالي بكل حزن وقلق وألم، ويعرض محمود على النيابة ويقول لهم كل شيء حدث معه منذ أن دخل بيتها وعلاقته بها وأنه كان يدافع عن نفسه وعن هدير حينها، ويأتي اليوم الذي يحاكم فيه، وبعد شد وجذب بين محاميه الذي أتت به هدير وبين النيابة فيحكم عليه القاضي بالسجن لمدة ثلاث سنوات، وكانت معه هدير في المحكمة تحضر قضيته وتشاهده وتودعه قبل أن يذهب إلى السجن وتقول له:

- لا تقلق يا محمود، لن أتركك وحدك، سأكون معك دائماً بقلبي وبكل شيء أملكه فلن أتخلى عنك أبداً.

ويضع محمود يده في يدها ونفسه تتحسر وتتقطع ألماً على فراقها والبعد عنها، ويزداد ألمه بعدما رأى أمه وأخته، فهذه الأم التي كان يكذب عليها ويخدعها فيخر بين يديها ويبكي لأمه ويطلب منها أن تسامحه ويقول لها:

- سامحيني يا أمي، كنت أكذب عليك، لا تغضبي مني لقد

فرطت فيك، فمن لكي بعدي يا أمي.
وتبكي الأم بكاء مريراً يدمي القلب ويقطعه وتقول له:
- لا يا محمود لست غاضبة منك وسوف أدعوا الله لك ليل نهار حتى تخرج عن قريب إن شاء الله.
ويمضي محمود مع الحارث إلى سيارة السجن ويدخل محمود سجناً بعيداً عن سكنه ويكون معه ويلازمه رجلاً يدعى الجراح فيقربه منه، فهذا الرجل قتل ودخل السجن ولكنه ليس ككل القتلة، بل هذا الرجل يقتل من أجل المال فهو قاتل مأجور ولكنه رغم ذلك لما قص عليه محمود قصته جعلته يحنوا عليه ويرعاه ويدافع عنه، فقد قال له إنك تشبهني في صغري، في كل أحوالك فقد كنت مثلك حرمت من أبي ومن كل شيء وحبست لأول مرة من أجل جريمة لم أفعلها.
وتأتي له هدير بين الحين والآخر ويهيم محمود في ذكراها، وبين سكون الليل وصوت السجن المفزع يرسم صورتها في خياله ويظل يتحدث إليها أكثر الليل ويقول لها:
- إلى متى نظل في ابتعاد عن بعضنا؟ متى نلتقي لمَ لا تتكلمين معي؟ ماذا أسكتك؟ ولماذا تبكين؟ أتتالمين وحدك بلا أنيس؟ ومن ينام معكِ إلى الصباح غيري؟ لقد اشتقت إليك كثيراً واشتقت إلى بسمتك وضحكتك وإلى صوتك الرنان اشتقت إلى النوم بجوارك ولمسة يديك الحانيتين ورائحة فمك التي

تشبه رائحة النعناع.
وبعد مرور أيام؛ تأتي له هدير ووجهها قد شحب وتغير فلما شاهدها هكذا نظر إليها في تعجب وقال لها:
- ماذا بك؟ لماذا تغير وجهك؟
فصمتت برهة من الوقت فكرر على مسامعها السؤال، فقالت:
- إني حبلى منك يا محمود وفي شهري الخامس وقد واجهت الكثير من المشاكل والمتاعب مع أهلي فأرادوا مني أن أضع الجنين قبل ميعاده عنوة فلم أنصت لهم، وأرادوا أن يزوجونني من رجل أتى به أبي فلم أوافق.
فقال لها محمود
- لا عليك، فإن أردت أن أكتب عليك هنا سأفعل وحبذا لو تتعجلين بذلك فأنا لا أستطع العيش من دونك أبداً ما حييت، والله يا هدير إن صورتك لا تفارقني أبداً في ليل أو نهار، لقد سجنت في سجن أنا بين جدرانه، وسجن حبك الذي حبست نفسي فيه.
فقالت هدير:
- وأنا يا محمود لم أنساك ولن أنساك أبداً وحبك لا يفارقني فقد قضينا مع بعض عدة أيام وليال لا تنسى .
- اعتن بنفسك يا هدير وبولدي، لقد تذكرت، ماذا تنوين أن نسميه؟

- لا أعرف، بل اختر له انت أي اسم.
فقال لها:
- أهم من ذاك هو تضعي حملك وتكوني في أحسن حال فأنا أراك متعبة من الحمل.
وينادي الحارس بنهاية وقت الزيارة، وتودع هدير محمود وتقول له:
- سنحدد متى نكتب عقد زواج في أقرب وقت.
وتمضي هدير وتتركه بين ذلك السجن وبين ما قصته عليه من هذه الأخبار التي نصفها أسعده ونصفها أدمى قلبه، ويدخل محبسه ويجد رفيقه في السجن يجلس وحده، فجلس بجواره في صمت ولكن رفيقه قطع عليه صمته وقال له:
- ماذا ألم بك؟ يا بني انظر إليَّ فأنا لا يأتي لي أحد وليس لي أحد في الدنيا، فلا تشغل نفسك بما هو خارج الجدران، وانشغل بنفسك هنا فأنت بذلك ستطيل أيامك ولياليك في هذا الحبس، والله يا بني لا يوجد أي شيء في الدنيا يستحق ذلك.
وتمر الأيام وتأتي هدير ومعها من يكتب عقد الزواج ومعها أمها ويكتب كتابها فتفرح لذلك ولكن الحزن خيّم عليهم فقد تمنوا أن لو كان محمود خارج السجن ويقضوا ليلة عرسهما مع بعضهما.
وبعد عدة شهور تنجب هدير مولودها ويسمونه كريم، ويراه

محمود ويسر به، ولكن فرحته لم تكتمل فقد جاءت له أخته بخبر موت أمهما، فبكى محمود على موتها وحزن أشد الحزن لأيام عديدة، وكلما تذكر كلام أخته عندما قالت له:

«لقد كانت أمك تذكرك عند موتها وتبكي علي فراقك بين الفينة والفينة ولم يكن على لسانها قبل أن تموت إلا أنت، فقد كانت تلهث باسمك وتكرره مراراً»

ويصبره رفيقه في الحبس دوماً على كل ما يصيبه ويقول له:

- لقد بقي على خروجي من السجن عدة شهور وسأستقبلك عندي بعدما تخرج.

ويعد محمود الشهور عداً على خروجه حتى يستمتع بهدير وابنه، وتمضي الشهور تباعا بكل أحزانها ولكن الفقر يطارده في كل وقت ومكان فقد كتب عليه الفقر والحرمان في كل شيء، حرمان وفقر في المال والأهل والعلم فهو يتجرع الفقر مرة بعد مرة والشقاء يطارده كأنه خلق لذلك وما يلاقيه من مصائب وابتلاءات تجعل منه إما أن يكون قوياً لدرجة القسوة أو ينهار لدرجة الجنون.

ويخرج محمود إلى حريته خارج القضبان والجدران التي تئن من جروح وعذاب من بداخلها، ولكن القدر قد خبأ له ما يجهله وما لا ينتظره؛ فبعد أيام من خروجه وبعدما قضى مع هدير وابنه أجمل لحظات وأخذ يسعى ليعمل من أجل أن يكتسب

المال لينفق على بيته، فقد كان يترقب خروجه إخوة الشاب الذي قتله محمود، وفي سكون الليل والناس نيام يأتي إخوة هذا الشاب المقتول في صمت وخفية لينالوا منه ومحمود قد نام هو وأهله ويدخل هؤلاء الرجال عليهم بسلاح نار ويطلقون النار عليهم ويخرجون بعدما أغرقوا أحمد وزوجته وابنه في دمائهم، ويأتي الناس بالإسعاف ليأخذوهم إلى المشفى وقد غرقوا في دماءهم ويموت الولد وتموت هدير ويبقى محمود في غيبوبة فاقد الوعي بعدما دخل في جسده خمس رصاصات. وبعد أيام في غيبوبة طالت وتعدت الثلاثة أشهر لتبرأ جراحه ويفيق أول ما يفيق يسأل على هدير وابنه ولكنهم لم يخبروه في بادئ الأمر ولكنه أصر على ذلك، ويأتي إليه الضابط ليحقق في ما حدث ويأخذ منه استجوابات تخص ما حدث فقد كان ينتظر أن يفيق من غيبوبته.

ويفاجئ الضابط بقول محمود له بعدما سأله من الذي أطلق النار عليكم، فقال:

- أنا لم أرَ شيء ولم أعرف من فعل هذا.

ولكنه في قرارة نفسه يعلم، فيخرج محمود من المشفى من قبل أن يتم شفائه، فذهب إلى منزله ليتفقد آثار ما فقده من زوجة وابن وكل شيء ويذهب بعدها إلى هذا الرجل الذي كان معه في السجن ويستقبله هذا الرجل الذي يدعى عواد ولكنه

يلاحظ الحزن وآثار الوهن والتعب على وجه محمود، فيسأله عواد:

- ما بك؟ مالي أرى تغيراً عليك وعلى جسدك؟

فيقص عليه محمود ما حدث من قتل لزوجته وابنه وما أصابه من طلق ناري في جسده، فيطببه عواد ويقف بجانبه، ومحمود يتعجل أن ينتقم فيصبره عواد قائلاً:

- سأفعل لك كل ما تريد.

وتمر الأيام، ويذهب محمود إلى قبر زوجته هدير وابنه وتفيض عينه بالدمع ويجلس طويلاً حتى يستعجله رفيقه عواد ويقول له:

- كفي يا محمود، فالذي ذهب لن يرجع.

ويذهب محمود مع عواد ليأتيا بسلاح ناري ويتتبعا هؤلاء الرجال القتلة ويبدأ محمود بواحد منهم كان يسهر في إحدى الحانات ليلاًء ويذهب إلى بيته في الصباح مع الفجر ويختبئ له محمود حتى يلقاه في الطريق، فيدهش هذا الرجل مع أنه ثمل، ويذكره محمود بما مضى وبما فعلوه من قتل لأهله فيرتعد هذا الوغد من شدة الخوف وارتعدت فرائسه، وينهي محمود خوفه ويطلق على رأسه ما يحويه سلاحه الناري، وبعدها يقف لحظات بجانبه ولكن عواد يقول له:

- هيا، لماذا تتوقف.

ويسرع محمود نحو السيارة مع عواد ليذهبا بعيداً عن هذا المكان ويسأله عواد:

- كم بقي منهم؟

- ثلاثة فقط.

- لا عليك سننتهي منهم في أقرب وقت ممكن.

ويصلا إلى المنزل، فعواد منزله يشبه القصر وما هو بقصر وبه من المخابئ الكثير والخمر لا تنقطع منه أبداً وتأتيه النساء إلى منزله كل ليلة مع اختلافهن، إلا واحدة لفت انتباهها وجود محمود في المنزل فهو شاب وسيم ووجهه خمري اللون وعينه شديدة السواد وتكسوه سحابة من الحزن والوجوم فجلست بجانبه وقالت له:

- مالك تجلس بعيداً وحيداً وبالك شارد؟

فجاوبها عواد:

- دعيه وشأنه وتعالي.

فقالت:

- لا، لن أدعه حتى أجعله يتسامر معنا ويشاركنا شرابنا وما نحن فيه.

فأخذت تدير الموسيقي وترقص على تلك الأغاني وقد بدت بفستانها الشفاف الضيق الأحمر اللون، فتذكره بهدير عندما لبست له مثل هذا الفستان الأحمر الذي يشبه لون الدماء،

فهام في ذكراها وتذكر ضحكها ورقصها له وكلامها وما قضوه مع بعضهما من لذة ولحظات ممتعة، فتخيل أنها هي مع الفارق في الشبه والروح فشتان بين قلب ينبض بالحب والعطاء والبذل والتضحية وقلب ليس فيه سوى اللهو والمتعة والشهوة.

الساعة قد تعدت الثانية بعد منتصف الليل وكل شيء يدور في ذهنه من قتله ومن سيقتله فالانتقام عذاب النفس التي فقدت أعز ما تملك فقد تركه ولده الوحيد وزوجه الودود وحبيباه الذي لا يملك غيرهما في الدنيا.

فقد وحرمان لأعز الناس وأقربهم إلى قلبه؛ ماتت أمه وزوجته ومات ابنه أي تحمل ما لا يتحمله أي بشر ولكن هذا جعله بدون قلب فقد مات قلبه فقد أصبح لا يبكي على شيء في الحياة كلها فيحدث نفسه في هيام وباله قد شغل، فأخذ يحدث نفسه قائلاً:

- يا تري هل سنلتقي سوياً مرة ثانية مع من نحب في دار غير الدار وفي أرض غير الأرض؟ فكم افتقدتك يا هدير وافتقد ولدي وأمي؟ متى ينقضي العمر أو أموت حتى الحق بهم فالدنيا بغيرهم لا تساوي شيء.

وبينما هو كذلك تقطع عليه تلك المرأة التي تتمايل أمامه يمنة ويسرة ما يفكر فيه وما جال في خاطره من هواجس ونوازع وشتات في النفس فتجلس على فخذيه تضع يديها علي رقبته

وتقترب من وجه شيئاً فشيئاً وتضع شفتيها على شفتيه، ويفيق محمود مما هو فيه وينظر إليها نظرة طالت في صمت قال بعدها:

- دعيني الآن فأنا متعب البدن وليس لي أي مزاج لأي شيء.

فأخذت تحاول معه ولم يعبأ بها وينتهي سمرهم ويخلد للنوم محمود ولكن ما فعله من قتل بالنهار قد أرق منامه وجعله يفزع عدة مرات أثناء نومه ويفزع صديقه عواد لفزعه ويقول له:

- ماذا؟ ما الذي أفزعك؟

- إنه كابوس مزعج أرى كأني أشنق وأموت.

- هذا كان يحدث لي في بادئ الأمر عندما قتلت لأول مرة ثم اعتدت علي ذلك...

- هيا لننام فقد بقي على النهار ثلاثة ساعات.

ويقوم عواد ويقول وهو كذلك:

- سأدعك تنام حتى نذهب إلى الرجل الثاني الذي تريد قتله فهذا الرجل ليس هنا بل يقطن في الإسكندرية فسنسافر إليه مبكراً.

وذهب عواد لينام أما محمود فقد جافاه النوم وأخذ يشعل سيجارة وتفكيره يذهب به يمنة ويسرة ليل طويل مظلم يتهادى بين الظلمات فسماء قد اسودت عليه والأرض قد

ضاقت أيضاً فغيوم وأشواك وحياة ليس بها أي فرحة أو أي أمل في الحياة، الموت يرقص له ليل نهار ودنيا الأموات يعيش فيها صفحة الدماء وقد فتحت ولم تغلق بل يتولد منها صفحات، فقد فارقت البسمة وجهه، فلم يعد يضحك فقد تبدل وجهه الوسيم الباسم المشرق إلى وجه عابس متقطب الجبين فقد ترك لحيته وشاربه حتي بدا كأنه سفاح أو مطارد بين الجبال.
ويأتي الصباح مسرعاً فيغسل وجهه ويوقظ عواد وتهيئا للذهاب إلى ما يصبوان إليه ويمتطون سيارة إلى الإسكندرية وبعد ساعات قليلة يصلان إلى هناك وينزلان بفندق وضعا فيه أمتعتهما ثم توجها إلى هذا الرجل وهو اسمه ياسين يعمل في الميناء فدخلا إلى هناك وتتبعاه فعرفا أين يقطن وانتظرا إلى الليل حتى رجعا من الخارج فهو يسهر عند امرأة غانية ويكون عندها كل ليلة تقريباً ويأتي هذا الرجل على مقربة منهم ويذهب إليه محمود على مهل ويقابله وجهاً لوجه فينظرا إلى بعضهما ويرتعد ياسين لرؤية محمود وعواد يراقب عن قرب فيمسكه محمود من عضديه ويحملق فيه ودماء قلبه تفور وياسين يقول:
- أنا لم أفعل شيء فلست أنا من قتل أولادك وأصابك، دعني أعيش، خذ مني ما تريد من مال.
ولكن محمود ابتدره وأخرج الخنجر من خصره وطعنه به عدة

طعنات وهو يقول:

- لماذا قتلت زوجتي..؟ لماذا قتلتم ابني؟ وياسين قد فارق الحياة ومحمود ما زال يطعن فيه حتي منعه عواد وقال له هيا يا محمود كفى لقد فارق الحياة ويسرعا محمود وعواد إلى الفندق ليأخذا أمتعتهما ويرحلا وبعد ساعات يصلان إلى القاهرة والفجر يؤذن وبعدما ينامان يستيقظ محمود قرابة المغرب فيذهبان إلى قبر هدير وابنه ويجلس عند قبرهما ويقول لهما وعيناه لم تدمع هذه المرة فقد مات قلبه ولم يكن هو ذاك القلب الذي ينبض بالمشاعر والأحاسيس المرهفة وما فيه من حنان وعطف... فقد تحول إلى قلب غليظ لا يهمه إلا الانتقام وأخذ ثأره ممن قتلوا زوجته هدير وابنه الوحيد...، فيقول لهما لقد بقي هذين الرجلين وأنتقم لكما ممن فعلوا فيكما ذلك... وينهي جلسته هذه وبعدها يذهب إلى أخته يجلس عندها بعض الوقت وتعاتبه على بعض الأشياء ولكنه لا يتكلم معها إلا القليل من الكلام... ثم يرجع إلى منزل صديقه عواد ليلاً..، فيقول له عواد أين كنت؟ فالدنيا قد قلبت رأساً على عقب والشرطة تريد أن تعرف من هذا الذي يقتل ولماذا يقتل هؤلاء فعليك بالحذر ولا تتحرك كثيراً هذه الأيام حتى يصلوا إلى من يفعل ذلك من الناس غيرنا أو تحفظ ضد مجهول أو، وتأتي هذه المرأة التي كانت بالأمس عندهم وتصافح محمود ثم تضع

يدها على شعره وتقترب منه أكثر وأكثر، ثم تجلس على فخذيه وتضع يدها حول رقبته ثم تقرب وجهها من وجهه وتلامس شفتيه بأناملها حتى تقبله وهو لم يتمالك نفسه فأخذ يقبلها ويعانقها ثم أخذها ودخل الغرفة ومارسا الجنس مع بعضهما ثم ظل بجانبها وهو يعانقها إلى الصباح ويخرج محمود في الظهيرة ليتابع الشخص الثالث الذي شارك في القتل ويدعى مسعود ويعمل في أحد الفنادق الموجودة في القاهرة فدخل الفندق على أنه نزيل في الفندق فهو يمتلك بعض المال فقد تركت له هدير بعض المال الوفير كانت قد ادخرتهم في خلال سنوات حينما كان أبويها يعطيانها المال لتنفق منه وكانت تملك بعض الحلي وبعض الأشياء السمينة، فمحمود ينفق من هذا المال ويعينه أيضاً صديقه عواد على ذلك.

# الفصل الثالث

فها هو اليوم يذهب معه الفندق في ثالث يوم يراقب فيه هذا الرجل الذي يدعى بمسعود، فيجلس معه عواد وهما يتناولا الطعام وقال له:

- أنت تعرف يا محمود ماذا أعمل؟

- نعم أعرف أنك قاتل مأجور

- أحسنت.

- ولماذا تسأل هذا السؤال الآن؟

- لأن لدينا مهمة سنأخذ منها بعض المال.

- ومن هذا الذي سنقتله؟

- إنه تاجر مخدرات كلما قبض عليه حصل على براءة فهو يمتلك بعض المحامين والمال فكل هذا يجعله يخرج من السجن ومن قضاياه بأعجوبة ولكن هناك من يريد تصفيته

وقتله.
- وأنا رهن إشارتك فلن أتراجع عن ملازمتك والوقوف في ظهرك ما حييت فأنا مدين لك بوقوفك معي على طول الخط.
- عواد نريد أن نتخلص من هدا الشخص قبل مسعود.
- وهو كذلك.
ثم يذهبا معاً إلى منزلهما وفي الطريق يجدا بعض الفتيان يتحرشون بفتاة في مكان بين الطرقات ولا يقطنه إلا القليل من الناس فيحاولون إنزالها من سيارتها وهي تبكي وتصرخ فيسرع عواد نحوهم وينزل محمود مندفعاً نحوهم وينقض عليهم في شراسة فهذا الموقف يذكره بما فعلوه الجناة معه هو وأهله من قتل وإصابته وبعد صراع معهم لم يطل كثيراً ترك الثلاثة ملقون على الأرض وبهم من الكدمات والطعنات الكثير وتشكره هذه الفتاة على صنيعه بها ولكنها بها بعض الكدمات وبجسدها رجفة مما حدث فيستأذن محمود من صديقه عواد أن يعدها إلى منزلها فيأذن له وبسوق لها محمود سيارتها وهي قد أسندت ظهرها إلى الكرسي المرافق له وهي شبه فاقدة الوعي ولكنها أصرت رغم ما هي فيه من التعب والرعب الذي لاقته من هؤلاء الفتية أن تعرف اسمه، فقالت له في صوت مرتجف:
- ما اسمك؟

فقال لها:
- اسمي محمود.. وانت؟
- اسمي إسراء.
وأخذ محمود يقود السيارة وبعد قليل قال لها:
- أين تقطنين؟
- في المعادي.
- وماذا أتى بك إلى هنا؟ حيث هذا المكان المترامي الأطراف؟
- كنت أعاين مكان العقار الذي اشتراه أبي حتي نشيد عليه برجاً سكنياً وأنا من أتولي ذلك.
- أأنت مهندسة؟
- نعم.
- لا تأتين هذا المكان بمفردك بعد ذلك.
- سأفعل.
وينطلق صوت الهاتف فترد إسراء:
- وعليكم السلام.
ويسألها والدها في الهاتف:
- أين أنت؟
فتقول له: إنني في الطريق.
فيسألها أباها وقلبه قد أحس بشيء:
- ما بك أسمع صوتك متقطع؟

فتجيبه إسراء:
- لا لا شيء أنا قادمة يا أبي.
وتغلق هاتفها وتسأل محمود:
- ما هو رقم هاتفك؟
فيعطيه محمود الرقم فتسجله على هاتفها وتتصل به وتقول له:
- سجل رقمي عندك.
ويدخل محمود بالسيارة قرب مسكنها ويسألها:
- أين نتوجه؟
فتحدد له الشارع الذي تقطن فيه وبعد دقائق يصلان إلى منزلها ويقف بالسيارة في المرأب المخصص لها ويعطيها مفاتيح السيارة ويقول لها:
- سأنصرف أنا الآن.
فتقول له إسراء:
- كيف ذلك؟ أيعقل بعدما تفعل بي ذلك أن أتركك تنصرف هكذا؟
ويخرج والدها ويسألها:
- ماذا حدث ما الذي أخرك؟
فتقص له ما حدث معها وما فعله محمود من أجلها، فلا يتركه الأب الذي يحب ابنته أن يمضي دون شكر فشتان بين أب

يحب أولاده وبين أب لا يعنيه سوى شهوته ومتعته الزائلة فأسرة مجتمعة وليست متفرقة لهي الحصن الحصين لكل فرد في الأسرة، فتفرق الأسر ينتج عنه ضياع الأولاد وتشردهم وربما سجنهم أو قتلهم بل منهم من يخرج إلى المجتمع ليفسد فيه فيدمن المخدرات أو يبيعها أو يعاقر الزنا أو اللواط أو يمتهن مهنة غير شرعية كالبلطجة والسرقة أو غير ذلك وكثير من هؤلاء تنتهي حياته إما بالقتل أو السجن أو الأمراض ولا سيما أمراض المناعة فيفسد المجتمع وتمتلئ الشوارع بأبناء الزنا واللصوص وقطاع الطرق ناهيك عن فساد نفسه وتدميرها أو قتلها فلا تري في أسرة ترك الأب أولاده لأمهم وذهب هو يلهث وراء نزواته إلا الضياع وسوء الأخلاق.

فيدخل محمود منزلهم ويحدث بينه وبين أبيها التعارف فيتهلل وجه الوالد فرحاً لمعرفة مثل هذا الفتى وما به من مروءة وشجاعة وإقدام ويعرض علي محمود عرضاً لما قال له محمود أنه لا يعمل ويبحث عن عمل في أن يكون معهم كسائق وحارس خاص لابنته ولكن محمود يشغله ما يخطط له من ثأر لزوجته وولده، فقال سأفكر في الأمر فما أحسنكم من أسرة طيبة متماسكة وخرج من عندهم وهو يقول في نفسه ما أجمل الترابط الأسري ما به من دفء ورعاية فكم تمنى أن لو كان له والد على قيد الحياة يحمل عنه همومه ومشاكله فحكمة

الأب في سن الفتوة لها شأن وقيمة ذهبية لا يعرفها إلا من فقد أباه ويذهب محمود إلى الفندق ويرى الرجل الذي يريد قتله ودماء قلبه تفور ويهم محمود أن يقتله وهو في طرقات الفندق لولا جاء عواد فقال له أنا كنت قد تأكدت أنك من الممكن أن تخطئ وتقتله هنا.

- صبراً يا محمود حتى ينهي عمله ليلاً ونتبعه إلى الخارج.

وينتظر محمود هذا الوقت ليثأر من ثالثهم، ويأتي الليل ويخرج مسعود متوجهاً إلى منزله ويسير خلفه محمود بالسيارة ويقتربا منه ثم انتظرا حتى دخل في طريق ليس به مارٌّ فنزل محمود من السيارة وسأله عن عنوان ما وقبل أن يجيبه أخرج محمود مسدس وضربه به على رأسه وحمله في سيارته وقاد السيارة بكل سرعته حتى وصل جبل المقطم وقبل أن يصلوا استرد وعيه مسعود.. فقال:

- أين أنا ومن أنتم؟

فقال له عواد:

- نجعلك تتنسم آخر نسمات في حياتك.

ووضع المسدس على جبهته وقال له انزل.

فنزلوا جميعاً من السيارة وأخذه محمود إلى حافة الجبل وقال له:

- أتذكرني؟ أتذكر هذه الأسرة التي قتلتموها كلها ليلاً على حين

غفلة؟
ثم ارتفع صوته وقال له:
أتذكر زوجتي وابني حين سالت دمائم على الفراش؟
وأخذ الرجل ترتعد فرائسه ومن كثرة ما رأي من حنق محمود بال الرجل علي ثيابه ولم ينتظر محمود كثيراً، ثم وجه المسدس نحو رأسه وأطلق عليه كل الطلقات ثم ألقاه من أعلي الجبل وركبا سيارتهما وانصرفا حيث منزلهما وبعدما وصل محمود إلى المنزل لم يفكر في هذا الرجل الذي قتله ومن أنهي حياته بل كان تفكيره في هذه الفتاة التي كانت معه منذ ساعات فقد شغلت ذهنه بكيانها وبمظهرها وما هي فيه من علم ورزانة في المنطق والشكل العام، فهي تبهر أي أحد فقوامها ما أحلاه من قوام ولون عينها ما أنضره ولها وجه كأعظم لوحة لفنان ظل يرسم فيها سنوات طوال، وتتصل به علي الهاتف ويتحدثان سوياً فتقول له إسراء:
- كيف حالك ؟ وكيف وصلت إلى منزلك؟ هل وجدت بسهولة المواصلات أم ماذا؟
- لا كانت سهلة فأنا قد اعتدت على المتاعب منذ زمن.
- أين تذهب غداً إن شاء الله؟
- عندي بعض الأمور وسأتفرغ لكم فأخبري والدك بذلك.
- أتود أن تذهب معي غداً فأنا سوف أذهب إلى هناك ومعنا

بعض النجارين كي نضع أعمدة وأساسات المبنى.
- لو كنت لوحدك ما تركتك ولذهبت معك وكنت بجانبك.
- ولكني أريد أن أراك فإن شئت خرجنا الليلة في أي مكان نتحدث فيه.
- على الرحب والسعة فأنا مشتاق لرؤياك فصورتك لا تفارق خيالي منذ أن رأيتك بالأمس.
- ما هذا هل هو الإعجاب؟ أماذا أسميه؟
- بل هو كل شيء.
- سأغلق معك الآن فأمي تنادي علي هيا سلام.
فيغلق محمود ويهيم مفكراً بها ولكن عواد أتى إليه ليقول له هيا لننهي ما اتفقنا عليه فالرجل الذي سنقتله قد جاءتني مكالمة تلفونية بأنه سيكون بمفرده في منزله هذه الليلة،فقال له محمود:
- أنا مستعد الآن حتى أتفرغ فعندي ميعاد غداً.
- إنها المهندسة أم أحد غيرها؟
- لا إنها هي.
ويذهبا معاً لقتل هذا الرجل ويستقلون سيارتهما ويأخذان سلاحهما وبعد قليل يصلا إلى هناك... الساعة الحادية عشر مساء فالرجل ليس وحده بل معه فتاة للمتعة تأتيه كلما كان وحده فهو غارق في شهواته ورغباته وملذاته ولا يعبأ بأي

شيء سوى متعته وما هو فيه من لهو وعبس فلا تعنيه حياة البؤساء والفقراء ولا الذين يفقدون ذويهم وفلذة أكبادهم جراء المخدرات وما جلبوه لخيرة العمر من الشباب من سموم تقتل وتدمر وتجعل من المجتمع المستقر مجتمعات للخراب والفساد والإدمان والبطالة وغير ذلك من الانحلال وعدم الإنتاج بل هدم وتدمير وبعثرة لثروات البلد فالأموال تنفق في غير محلها، فبدلاً من أن تذهب إلى محلها ومسارها الصحيح ذهبت في أيدي من عادانا من غيرنا وفعلوا ما أرادوه من تخريب للعقول وهدم للثروات والمقدرات، فهم لم يعرفوا أن يخرجوا الناس من دينهم ولكنهم قالوا عليكم بالمخدرات فافتحوا أبوابها على مصراعيها فدخلت تلك السموم كل بيت تقريباً فأصبحت المخدرات في كل منزل والإباحية أدخلوها في كل مكان حتى صرنا أضعف الأمم وأذل أمماً، فأصبحنا نتجرع الهوان وخيبة الأمل وبعدما كنا في مقدمة العالم ونقرد قاطرة الحضارة صرنا في ذيل الأمم بل لم يتركونا هكذا بل لما رأوا فينا الضعف والذل والهوان والعار والخزي فأخذوا يقتلون فينا ويذبحوننا بشتى الطرق والوسائل، فتفننوا في إذلالنا، فلا عليهم نعتب بل نعتب على أنفسنا فنحن من نقتل أنفسنا وهم لم يجبروننا على أي شيء من ذلك ونبقى هكذا لا كرامة لنا ولا عز لنا ولا شرف لنا إلا عندما نرجع إلى ديننا وأخلاقنا ومبادئنا،

فيدخل محمود ومعه عواد إلى منزل هذا القاتل وينقضا عليه ويهرع لما رأى ذلك ولكن الطلقات لم تدع له فرصة للهرب أو الاستغاثة بل لم يسمع إلا صرخات هذه المرأة التي كانت عنده وأيضاً لم ترحمهما طلقات النار من الفرار أو إخراج صوت آخر حتى لا يتركا وراءهما أي دليل أو بصمة، ويتركانهما ويمضيان ولكن الشرطة هبت للأمر فكل حوادث القتل لابد من فاعلها وبدأ الضابط صلاح يبحث عن هذا القاتل ومن هو بكل وسيلة ممكنة ويفتش هنا وهناك ولكنه لا يعلم أن في الدولة من الكبار من يتولى فعل ذلك ويصفي من يشاء كيفما شاء وبأي وسيلة ولا يهم من هو فلن يصل هذا الضابط إلى أي شيء لأنه لا يوجد من الدوافع الشخصية ما يجعله يتعقبها ويصل إلى شيء..

ولكن من بقي من القتلة ممن قتلوا زوجة محمود وابنه فيعلم من القاتل لإخوته وأيضاً بدأت الشرطة تتأكد من أنه الفاعل لعلمهم بما فعل به وأنه الوحيد المنتفع من قتلهم، فبدأوا يراقبون آخر شخص بقي من هؤلاء الإخوة ويبحثون عن محمود في كل مكان، وتأتي الأخبار إلى عواد فينذر محمود ويخبره بذلك حتى لا يخرج، فيقول له محمود:

- وبعد ذلك؟
- لا تقلق، سأغير لك كل شيء وتصبح شخصية أخرى.
- ولكني أحب أن أذهب غداً إلى حيث تعلم.

- اذهب ولكن بحذر حتي أغير لك كل شيء غداً.
- وهو كذلك.
ويمضي محمود إلى فراشه وبدأ تفكيره يتشتت فهو يريد أن يتخلص من آخر رجل في القتلة وعواد يكلفه بقتل جديد فلا القتل ينتهي ولا الحياة صار بها استقرار له بل بدت الفوضة تملأ حياته، فلا يعرف مستقبل نفسه ولا حاضر لها بل ماضٍ نغص عليه حياته وكل حاضره، فلم يعد يهنأ بعيش في الحياة ولا لذة لها وقد رسم على وجهه الحزن وبدأت يقرأ على وجهه ألم السنين، فإذا أحببت أن ترى صورة للبأس والحزن وظلمة الباطن وخراب الأمل فانظر إلى وجه محمود، وتدخل عليه هذه المرأة البغية (فتاة الليل) فتنام معه وترقص له وتداعبه ولكنها لا تحرك له ساكناً إلا ما يفعله معها من جماع وبعض القبلات والأحضان ويمر الليل والنهار ويأتي الليل ويذهب إلى إسراء حيث أنهما اجتمعا في مكان هادئ يبعد عن الناس وفي حذر من أن يراه أي احد من الشرطة ويجلس محمود مع إسراء وحدهما وقد غير محمود من هيئته فحلق شاربه ولحيته وجعل على رأسه الشعر المستعار (باروكة) وسألته إسراء لماذا تلبس كل هذا وما هذا الذي تفعله في نفسك هذا؟
فقال لها:
- من أجل هؤلاء الفتيان الذين اعتدوا عليك وأنا فعلت بهم ما

فعلت فالشرطة تبحث عني.
وجلس في ترقب دائم وقلق قد ظهر عليه، فقالت له إسراء:
- ماذا بك؟ لمَ انت مضطرب هكذا؟
- لا عليك سوف أكون بخير.
وأخذ محمود يتمالك نفسه أمامها وتكلمه هي عن والدها ومحمود يرى نفسه أنه ليس بقدر حبها له وليسا في أخلاقهما وسلوكهما كبعضهما فهو القاتل المأجور وليس له أي قلب أو مشاعر وهي إنسانه مثقفة مؤدبة من أسرة كريمة فشتان ما بينهما فتكلمه عن حياتها وتسأل محمود عن حياته فلا يقص عليها ما تود معرفته من تعليم وماض وأسرة وأهل فيتهرب من أسألتها وبينما هما كذلك دخل رجل يلبس زي الشرطة فجعل محمود يضطرب ويهتز مما لفت أنظارها وجعلها تسأله:
- ما بالك يا محمود من أي شيء تخاف؟
فقام محمود وقال لها:
- هيا ننصرف.
فنظرت إليه ولم تتجاهل ما رأته من قلقه وفزعه واستقلا كل واحد منهما سيارته وانصرفا وذهب محمود إلى عواد فقال له:
- ماذا فعلت في هذه الأوراق التي قلت عنها؟
- سوف نذهب إلى الباشا لينهي لك ذلك .
- أي باشا عن من تتحدث؟

- الباشا هذا الذي أعطانا هذه الأموال الكثيرة التي اشترينا بها السيارات هذه فتعالى معي غداً وستراه إنه يسأل عنك دوماً ويود رؤيتك.

وتمر الساعات ومحمود ينتظر أن يرى هذا الرجل الذي يسمع عنه لعله أن يغير من مسار حياته، ويأتي الليل ويذهب عواد ومعه محمود إلى هذا الرجل الذي يدعى مروان فيجده محمود وقد أحاطته النساء العاريات الكاسيات من حوله يرقصن له ويتمايلن عليه وهو جالس بين أنواع الخمور وما لذ وطاب من الطعام والشراب فدخل عليه عواد يصافحه بحرارة ويصافحه محمود ويكلم عواد هذا الرجل وهو يشير إلى محمود:

- هذا يا باشا محمود الذي حدثتك عنه.

ويبتسم مروان باشا ويقول لمحمود:

- هيا اشرب وانعم معنا بما تشاء.

ويجلس محمود وتأتيه غانية تبهر المنظر تلبس الثياب ولا تلبس ففخذها عار وكذلك ذراعها وثدييها وإن شئت فكل عارية وجلست على فخذيه وتداعب شفتيه وشعيرات رأسه وتضع ذراعيها حول رقبته وتصب له من الخمر كؤوساً وتنتهي السهرة وتأخذه إلى الداخل وكل واحد منهم يدخل بامرأة إلى غرفة وتسهر تلك الغانية معه فتفعل معه كل شيء فرأى معها ما لم يره من غيرها من النساء فقد كانت تستخدم كل طرف

في جسدها وكل حاسة أيضاً في ممارسة الجنس وقضى معها هذه الليلة وفي الصباح وقبل الظهيرة يستيقظ الجميع ويجلس محمود في فناء القصر الذي تحيطه الأشجار من كل جانب وبه حمام السباحة يتوسط المكان ويأتيه عواد فيجلسا معاً حتي يأتيهما مروان وبعد قليل يأتيهما ويؤتى بالإفطار لهم وبأكواب الشاي فقال لهم مروان:

- لعلكم استمتعتم بنومكم الليلة.

فقال عواد:

- نعم لقد كانت ليلة عظيمة.

واستدار مروان بعينيه إلى محمود وقال له:

- وانت يا محمود ألم تنعم بليلة طيبة؟

فابتسم محمود وقال:

- نعم لقد استمتعت وقضيت ليلة من أجمل الليالي.

وأشعل مروان سيجارته الكبيرة الضخمة التي يطلقون عليها سيجار وأخذ محمود وعواد يشعلا أيضاً سجائرهما الكليوباترا، وبعد برهة من الوقت نظر مروان إلى محمود وقال له:

- لا تقلق فمشكلتك بسيطة سنغير لك كل شيء.

وبعد قليل قال لمحمود وهو ينظر لشخص قد أتى من بعيد من قبل الباب:

- ها قد أتى من يغير كل شيء لك.

ويقترب الرجل شيئاً فشيئاً حتى اقترب وألقى عليهم السلام وجلس معهم وفتح حقيبته السوداء وبه بعض الورق الكثير ثم استخرج منها وريقات تخص محمود وأعطى هذه الوريقات إلى مروان وجلس بعض الوقت ثم انصرف ونادي مروان على محمود وقال له:

- تعالى اقترب مني.

فقام محمود وجلس بجانبه فأمسك مروان بالورقات وأعطاها لمحمود وقال له:

- هذه بطاقتك الجديدة وهذا جواز سفرك وشهادة ميلادك ومعك شهادة عليا ودكتوراه في القانون ومن هذه اللحظة أنت شخص جديد وسنفعل لك عملية تجميل بسيطة تغير من وجهك بعض الشيء حتى لا تعرف ولتتناسب مع ورقك الجديد.

ففتح محمود فاه منبهراً لما حدث وتهلل وجهه وقال له عواد:

- مرحى..مرحى يا محمود هيا عش حياة جديدة مع شخصية جديدة.

وبينما هم كذلك فقد هام محمود بعقله نحو إسراء وما يفعله نحوها فقد شغلت تفكيره ولبه وقلبه وما يفعله في آخر شخص يريد قتله ممن قتلوا زوجته وابنه، فنظر إليه مروان وقال له:

- أين ذهبت؟ في ماذا تفكر؟ ألم تحل مشكلتك بعد؟ أم هناك

ما يشغلك؟
فقال عواد:
- أنا اعرف ما يشغله.
فأخذ محمود الأوراق وجلس يومه كله حتى أتى الطبيب وذهبوا به ليفعلوا له هذه الجراحة التجميلية في وجهه فصار مختلفاً عن ذي قبل فمن شاهده لا يعرفه ولا يوقن أنه محمود الذي يعرفه فتغير اسمه ليصبح اسمه «عمرو محمد عبد العليم».

# الفصل الرابع

ومن هذه اللحظة صار لا علاقة له بهذا الاسم ولا يربطه به إلا أخته وإسراء وهذا الرجل الأخير الذي ما زال يريد الانتقام منه ولكن التغيير الذي طرأ عليه مؤخراً يجعله يثأر من آخر شخص قتل زوجته هدير وابنه الوحيد وبعد أن يتم التغيير الكامل لوجهه وهويته يكلفه مروان بأن يكون حارثه الخاص ويده اليمنى في كل شيء حتى أعجب به مروان أشد العجب ويستأذن من مروان أن يذهب إلى هذا الرجل فقال له مروان:

- أعرف عنك كل شيء وعن مشكلتك وقتل زوجتك وابنك وسجنك وكل شيء فثق بي وإن أردت أن أساعدك بأي شيء سأفعل.

فقال له محمود أو «عمرو» فقد ذهب هذا الاسم ولكن بطلنا

هذا اسمه وسيظل معنا بهذا الاسم، ويذهب محمود حيث وجه قبلته متجهاً إلى هذا الرجل الذي يدعى مرزوق وهو بلا عمل ولكنه يقف في موقف للسيارات التي تعمل مقابل أجر فيأخذ من السائقين بعض الجنيهات عن كل سيارة وهو يعمل بالنهار وينتهي من عمله ليلاً، فقد جمع عنه محمود كل ما يحتاجه من سكنه وعمله وأين يذهب ليلاً وفضل محمود أن يذهب إليه سكنه ليفعل في أهله ما فعله هو في أهل محمود فهو من أطلق الطلقات على ابنه وقتها وانتظر محمود حتى جاء الليل، وجاءت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فيدخل مرزوق منزله المكون من أربع طوابق فله فيه شقة واحدة في الطابق الثاني، فيدخل محمود المنزل ولا يخشى من أحد يقرع الباب فيفتح مرزوق ويضع محمود على رأسه المسدس ويدخل به إلى الداخل وتستيقظ زوجته فتنادي عليه:

- مرزوق.. مرزوق من بالباب؟

فلا يتكلم ، فيأمره محمود أن يقول لها لا أحد فيقول لها لا أحد فتخرج عليهما ولكن محمود قبل أن تصرخ أو تفعل أي شيء بادرها بطلقة في رأسها أودت بحياتها ونظر محمود إلى مرزوق وقال له:

- انظر إلى زوجتك كما قتلت زوجتي.

ثم صرخ في مرزوق وقال له:

- تعالى أين أولادك؟ سأجعلك تتحسر عليهم كلهم.
فأخذ يبكي مرزوق ويقول له :
- اقتلني أنا ودعهم يعيشون أرجوك.
فيصرخ فيه محمود ويقول له:
- أنت لم تترك أهلي يعيشون.
ويمسك محمود برقبة مرزوق بقوة ويدخل على أولاده وهم ثلاثة أولاد وينظر إليهم ولا يستطع قتلهم، ويغلق عليهم الباب ويجر مرزوق إلى خارج الغرفة ويلقيه على الأرض ويفرغ فيه ما تبقى من طلقات ويفتح محمود الباب ويخرج بعدما نظر أعلى وأسفل وينزل من على السلم ويلاحظ ثمة شخص يدخل في الطابق الأول فينتظر حتى دخل ويخرج هو على الفور ويستقل سيارته بعيداً عن المنزل تجنباً لأي مأزق يقع فيه ويذهب إلى المقابر فالساعة تعدت الثالثة بعد منتصف الليل ولكنه أصر على أن يذهب إلى المقابر ويجلس على قبر زوجته وابنه ليقل لهما:
- ها قد قتلت كل من قتلكما.
ويجلس برهة من الوقت ثم انصرف ليذهب إلى حيث يقيم مع مروان ويجد مروان وعواد بمفردهما وما زالم يناما فجلس معهما وينظر إليه مروان وعواد ويقول له مروان:
- الآن أصبحت متفرغاً بعد مهمتك هذه؟

ويقول عواد:
- لقد بردت دماء قلبك الآن أم هناك ما يشغلك؟
فيجيبه محمود:
- لا ليس هناك ما يشغلني.
يقول مروان:
- على كل حال هيا لننام فسوف نسافر غداً إلى السويد فلدينا هناك ما نصبوا إليه.
ويقوم الجميع ليخلدوا إلى النوم ومحمود ينظر لنفسه فها هو قد تعدى الخامسة والثلاثون من عمره وما زال يقبع في الفقر، فهو يعيش في الفقر المادي والمعنوي فقد حرم راحة البال وراحة القلب فقد حرم أيضاً من زوجته وولده وحرم من أمه وأخته فلا يستطع أن يرى أخته، فقد حرم من ماضيه ومن عمره الذي مضى، فرغم ما في ماضيه من منغصات وهموم وفقد وحرمان وقتل وسجن وجروح تترا يلاحق بعضها بعضاً فما وجد في حياته لحظة غنى أو نعيم بالمقارنة لمآسيه وما مرَّ به من فقد لأبيه وخروجه من مدرسته وعيشه بين أحضان الفقر ثم فقده لأمه وحبسه، ثم قتل زوجته وقرة عينه وولده وها هو ينخرط بين كبار المجرمين والسفاحين فيقتل ويرمل النساء وييتم الأطفال ويثكل الأمهات فقد افتقر قلبه من الرحمة والشفقة والعطف ومن أي إنسانية فقد جعل نفسه

مثل الذئب فيمص الدماء ويقطع الأشلاء.
ولكنه ما زال قلبه ينبض بالحب والعاطفة نحو إسراء فقبل أن يخلد للنوم يجد في هاتفه المحمول بضع رسائل ومكالمات منها ولكنه لم يجيبها أو يسمعها لانشغاله بما كان فيه فيتصل بها وبعد ثواني تجيبه وتقول له:
- عاش من سمع صوتك ماذا حدث؟ لم نسمع لك أي صوت أو نرى وجهك منذ كنا معاً؟
- لقد مررت بعدة منحدرات في حياتي وسوف أسافر غداً وعندما أعود سوف نتقابل وأقص عليك كل شيء ولكن دعينا نتواصل دوماً عبر الهاتف حتى نلتقي.
- ولماذا لم تتصل بي أو حتى تجيبني على طول الوقت؟
- والله ما نسيتك ساعة من نهار أو ليل ولكنني لم أكن لأهتم لأي هاتف أو أي شيء فقد كنت في شبه غيبوبة.
- حتى نلتقي لا تنسى أن لك إنسانة يهمك أمرها ويهمها أمرك.
- نعم بل أنت لي كل شيء ولم يبقى لي في هذه الدنيا غيرك.
- هيا اغلق فالليل لم يبقى به إلا القليل.
فيغلقا الهاتف ويناما فالفجر أوشك على الآذان... فليل يتبعه ليل ونهار يليه نهار وتتعاقب الأزمنة وتتغير الأحداث وكل شيء بات متغيراً، فيفكر محمود في ماضيه وحاضره وما آلت إليه حياته من شتات وتمزق في كل شأنه، فينظر محمود من

الشرفة على السماء والقمر في كبد السماء ويعانق النجوم رغم بعدها عنه، فتتلألأ أفكاره وذكرياته في الأفق كأنها هالة أصلها يدل على البهاء وباطنها سواد وظلمة قاتمة فواقع أعمى لا يبصر ولا يغني من جوع ولم يبتسم محمود منذ سنوات ولم يرقص قلبه فرحاً ولم تعانقه ثمة فرحة من سنوات، فقد تبددت كل أحلامه وانتحرت أمانيه وطموحاته، فلم يعد له أيّ أمل أو هدف يعيش من أجله إلا هذا الضوء الخافت والوميض البسيط الذي يراه مع حبيبته إسراء، فنام محمود وآخر شيء يفكر فيه هو إسراء ويستيقظ على حلم مزعج هلع منه عندما رأى أنه يمشي في صحراء ولا يرى أي أحد فيها وبعض الرياح الشديدة الهائجة تموج في كل مكان وإعصار يقلع كل شيء من مكانه وفجأة يرى بين الإعصار والرياح ورهج الثرى هؤلاء الذين قتلهم فرؤوسهم مخضبة بالدماء ويسيل الدم من أطرافهم وعيونهم وبعضهم يفقد ذراعه أو قدمه وبينما هو كذلك إذا بكلاب تعوي وعددهم أكثر من عشرة كلاب فأحدهم عبر من فوق المقتولين ليقفز على محمود فتلقاه محمود وأمسك بأقدامه وبينما هو يصارعه هكذا تداعى عليه من قتلهم وكل الكلاب أخذوا ينهشون من لحمه فقام محمود مذعوراً وجلس مكانه ونظر في هاتفه المحمول فوجد الساعة لا تزيد على العاشرة صباحاً وإذ بمروان يبعث له من يوقظه فقال له:

- هيا حتى ندرك الطائرة فالساعة العاشرة والنصف.
ويقوم محمود من فراشه ويبدل ملابسه ويتجهز للسفر وبعد الظهيرة يذهبا إلى المطار ليستقلا الطائرة وفي المطار يخرج محمود جواز سفره وينظر فيه الضابط المسؤول وينظر في وجه وفي اسمه ويقرأ الاسم.. «عمرو محمد عبد العليم»، ويختم جواز السفر ويسافرا معاً إلى السويد لينزلا عند رجل به من الثراء ما به فسيارة فارهة. وقصر مشيد وتحت إمرته عشرات الرجال والنساء ولا يتكلم بالكثير من الكلام وصوته يسمع ويجاب رغم تدني صوته وعينه تنم عن غضب أكيد فيأتيه أحد رجاله وقد صدر منه بعض الشيء الذي لا يذكر فأخرج مسدسه وأطلق عليه عدة طلقات أودت بحياته على الفور وملأت الدماء المكان ودخل ثلاثة رجال لجره إلي الخارج ، فنظر مروان وعمرو(محمود) إليه وإلى سطوته وشدة بأسه ولكن عمرو لم يراعى من ذلك بل لم يعجبه ما حدث واستاء من ذلك وجلس مروان وعمرو مع مستر جوزيف هذا ليبرما معه صفقة سلاح إلى مصر ويقضي عمرو ومراد أربعة أيام فيطوفا فيهما معظم آثار السويد ومعالمها ويرى عمرو الفارق العظيم بين هذه البلد وبين مصر فهذه البلاد تهتم بالإنسان كإنسان وتراعي حقه وتقدر مواهبه وتعتني بقدراته وتضع طاقته في محلها حتى إنهم لا يشتكون من شيء سوى انهم لا

يجدون عندهم أي مشكلة فمتوسط دخل أحدهم ثلاثون ألف دولار وعددهم تسعة ملايين نسمة وصنعوا في أعوام قليلة ما لم نصنعه نحن في أربع آلاف عام ويرجع عمرو من السويد ومروان وتملأ الابتسامة فاه وقلبه يرقص فرحاً بصفقته هناك، أما عمرو فلم يعبأ بما حدث وما يحدث فكل ما يشغله هو إسراء.

ويقابلها مرات ومرات وتمر الشهور والأيام ويحقق لمروان ثروات وثروات ويقتني محمود سيارة فارهة والأموال الطائلة وتأجل إسراء أي رباط بينهما حتى تحقق ما تصبوا إليه فهي تريد أن تكون دكتورة ويكون لها عظيم الشأن وتمضي السنوات والأيام حتى صار محمود في الأربعينات من عمره ويظهر لإسراء هذا الأخ الذي يدعى سعيد وهو يعمل شرطي ومكلف بمراقبة مروان وعمرو وبعد سنوات يستفحل خطرهما ليصبحا من أقوي تجار السلاح في مصر ومروان يكلف محمود بقتل هذا الضابط ويمتثل محمود لأمره ويمضي في مراقبته ويذهب وراءه إلى منزله، فيجد نفس المنزل هو منزل إسراء ويتعقبه فيجدهما قد خرج مع بعضهما في سيارة واحدة ويترك سعيد أخته إسراء أمام إحدى الأكاديميات ويمضي ويسرع محمود بسيارته نحوها وينادي عليها:

- يا إسراء تعالى اركبي فتقف إسراء بجانب سيارته وتقول له:

- عندي ما يشغلني الآن.
- لن آخذ من وقتك سوى خمس دقائق.
وتدخل سيارته وينطلق مسرعاً إلى مكان معزول بعض الشيء وتوقف ثم نظر إليها وقال لها:
- إسراء... من هذا الذي كان معك في سيارته منذ قليل؟
- إنه أخي سعيد.
- أنت متأكدة من ذلك؟
- نعم ويعمل في الشرطة كضابط، ألا تذكره عندما أتيت عندنا من سنوات؟
- لقد كان أصغر من ذلك فالأيام تنسي والكل يتغير.
- لم يتغير كما تغيرت أنت فأنت قد أجريت عملية تجميل لوجهك مع أنك لم تكن تحتاج لذلك.
ويستدير بسيارته ويعود بها حيث وجدها ويتركها هناك ويمضي ولم يخبر مروان بأي شيء مما عرفه ويسأله
- لماذا فعلت؟ هل قضيت على هذا الضابط أماذا حدث؟
- سأنتهي منه قريباً.
ويرتفع صوت مروان ويصيح:
- بل الليلة، لابد أن ننتهي منه.
فينطق محمود ويقول له:
- كلف أحداً غيري يقتله.

- لمَ؟ هل كبرت أم نسيت القتل؟
- ولا هذا أو ذاك بل يلزمني بعض الوقت.
- هي ليلة واحدة وإلا فلا رحمة أو شفقة عند هؤلاء الناس لن يتركونا نعيش.
ذهب محمود وهو يخاطب نفسه: لماذا هذا الشخص بعينه؟ ماذا أفعل يا ربي؟ هل أقتله؟ أماذا أفعل؟
فيتصل بإسراء ويخاطبها:
- كيف حالك؟
- الحمد لله، وأنت كيف حالك وماذا تفعلين الآن؟
- الحمد لله.. لا أفعل أي شيء.
ويقوم محمود ويمشي في الغرفة فتراه يتحرك كالليث في القفص وتحس إسراء بما هو فيه فتسأله ماذا بك مالي أحس بأنك لست على ما يرام؟
- لا شيء، ولكن كيف أخبار أخيك الضابط هل هو في المنزل الآن؟
- ولمَ تسأل عنه هذه المرة؟
- لا لشيء فقط أود أن أعرف هل هو بجانبك أم لا فلدي ما أود قوله لك.
- وما ذاك؟
- لا لن يجدي الهاتف سألقاك غداً الساعة التاسعة صباحاً.

- وهو كذلك

ويغلق محمود الهاتف ويجلس على كرسي له فيشعل سيجارة ويفكر ماذا يفعل.. ولكن القدر ساق له ما يبدد ما فعله، فيدخل الضابط سعيد على أخته ويغلق الباب ويجلس بجانبها ويتحدث معها قائلاً:

- ماذا تعرفين عن عمرو؟

- عمرو.. من عمرو؟

- لا تعرفين من عمرو؟ هذا الشاب الذي تتحدثين إليه وتجالسينه وتذهبين معه.. أقصد محمود فأنت لا تعرفين عمرو.

- ماذا تقول؟

- محمود يا إسراء هو عمرو تاجر السلاح والسفاح المطلوب.

- ماذا تقول؟

- محمود الذي تعرفينه قتل خمسة رجال وكان في السجن من قبل في قضية قتل وتاجر سلاح وقد غير ملامح وجهه وغير هويته بدلاً من محمود إلى عمرو وهذا هو الورق الذي به كل شيء عنه وعن سجله في السجن اطلعي عليه وأرجوا أن تبتعدي عنه في أقرب وقت.

ثم وقف وتركها تبكي وتنظر في الورق، وفي الصباح تقابل محمود في حديقة عامة فيقابلها ولكن دون أن تتكلم فيخاطبها محمود

ولا تنطق بكلمة وتخرج له هذا الورق الذي كانت تخبئه في حقيبتها ثم تعطيه إياه وينظر في الورق وتتركه وحده وترحل وينادي عليها فلا تجيب وتستقل سيارتها وتمشي مسرعة وتظل تبكي بكاء الطفل على أمه وهو يذهب ويأتي ببعض الورق ويخبئه في مكان عنده ويذهب ليلاً ليقتل هذا الضابط ويتسلق الجدار ويدخل منزله دون أن يشعر ويخرج مسدسه وقد وضع اللثام على وجهه حتى لا يعرف وفي الغرفة يرى زوجته وأولاده ويتذكر عندما هجم عليه هؤلاء الرجال وقتلوا زوجته وابنه وأصابوه وبعدما وضع المسدس على رأسه ليقتله لم يقدر أن يقتله ويستيقظ سعيد من نومه ليرى رجلاً ملثماً ومعه المسدس وقد صوب نحو رأسه ويأمره محمود بالقيام معه إلى الخارج فيمتثل لأمره ويخرج معه ويفتح محمود الباب ويأخذ المفتاح ويخرج ويغلق من الخارج بالمفتاح ويمضي بسيارته مسرعاً وفي الصباح يذهب محمود بعدما يتصل بإسراء ويقول لها:

- تعالى فأنا أحتاج لك وسوف أعطيك بعض الأشياء المهمة.

فتأتي إسراء إليه وتأخذ ما معه من ورق ويوصيها أن تعطي ما يملكه من مال مناصفة بين أخته والفقراء إذا حدث له أي مكروه وينصرف محمود وقد أفعمه الحزن والأسى الكثير وتبكي إسراء وتذهب إلى منزلها ويدخل عليها شقيقها الضابط سعيد

وهي تبكي ويمسك بما معها من ورق ويقرأ ما فيه وبعدها يقوم مسرعاً حيث مقر عمله فيبلغ مديره بما معه من دليل إدانة لهؤلاء الذين أفعموا البلاد بالسلاح والخراب وقبل أن يفعل أي شيء يأتي الليل ويجهز محمود نفسه بعدما أخبره عواد بأن مروان ومن معه من كبار المجرمين تجهزوا لقتله ويأتيه الخبر فجأة فيخرج ما عنده من أسلحة كثيرة ويرتدي واقي الرصاص ويطفئ الأنوار ويجلس على أهبة الاستعداد وبين الساعة الحادية عشر والثانية عشر ليلاً يأتي مروان ومن معه من القتلة ويحاولون اختراق المكان ودخول المنزل ويطلق محمود النار على من دخلوا المنزل فيقتلهم ويبدأ إطلاق النار من الجبهتين، فالضرب مستمر ويتقدم محمود ويتأخر ويطلق عليهم ويطلقون عليه ويبدل ما معه من سلاح وتنفذ ذخيرته شيئاً فشيئاً وتأتيه رصاصة في ذراعه وينزف ولا يعبأ بذلك ويربط جرحه ويستمر في الدفاع عن نفسه حتى تأتيه رصاصة أخري في بطنه جعلت قوته تتهاوى وبدأ يترنح ويسقط على الأرض ولكنه لم يستسلم وظل يقوم ويتذكر هدير وابنه ومرة يتذكر إسراء ويتردد على ذاكرته كل من قتلهم ويتذكر هذا الحلم الذي شاهده في ليلة سفره للسويد، عندما رأى الكلاب تنقض عليه وهو بين ذلك تأتيه رصاصة في عنقه جعلته يخر على الأرض ليجد طعم الموت ويذهب من الدنيا فلم يجد فيها

راحة أبداً أو لحظة هناء ويعرف الضابط سعيد الخبر وإسراء فيذهبان إلى هناك ليجدوا محمود وقد أثخن في جراحه ودمائه وقد ارتمى على الأرض وأصبح جثة هامدة لا حراك ولا حياة لها ووقفت بجانبه إسراء تبكي عليه وقبضت الشرطة على مروان ومن معه من القتلة وتجار السلاح وتذهب إسراء إلى أخته بما معها من مال فكم كان يعطف عليها ويودها دائماءِ فهي آخر ما بقي من أسرته.

وبهذا تنتهي حياة شخص عانى أشد المعناة ولم يتجاوز عمره الأربعين عاماً وتنقضي حياته بين ركام السنين وآلاف المعذبين ليذهب إلى باريه فيسأله عما قدم وأخر.


تم

# فهرس

# عن الدار ومشروع النشر الحر

**دار لوتس للنشر الحر** هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

**دار لوتس للنشر الحر؛ مصرية مغربية**
**تأسست في مايو ٢٠١٧**

# إصدارات المشروع

قلم عطر
وعادت ريما
مثل ليلة حب
وكأني أحبك
عالم قراطيس قراطيس
أوتار
دماء على ثوب أبيض
أموات فوق الأرض
بقلم رصاص
حريق على الجسر
القدرات السحرية
العالم لن ينتظرك
عندما ينتحب الياسمين
مرايا
البوهيمي
أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
خريف مريم
حلم صريع
مُتيم
يوميات رجل محسود
هدوء ما قبل الانفجار
الموؤودة
أنين المساجد
صوت السماء
طبق كشري
وأحببتك بعين قلبي
ما لا تعرفه عن الهجرة
الأيام الأخيرة
موانئ الرغبة

١٠٣
زمن الحنين
أوراق على دفتر الحنين
أحببتُ شبحاً
حكايات من التاريخ
كلمات ربي (ج١)
وشم على كتف الحياة
كيتو ياكيفو
يتيمة بأبوين
مائة عام على كوكب الأرض
نبوءة عاشق
رصيف نمرة ٢
قمر الدم
حنين الحنين
نساء وقيود
الآهات المكبوتة
عن الذي استدان ليشتري الشقاء
كتبتُ أحبك
فلاكا
الآدم وهي
أحلام فجر
مفاهيم إدارية لثالث ألفية
عاشق الضي
أنامل قصصية
مملكة روح
ماهر وسماهر وبئر النسيان
الضال
خليج بلا وافدين
في ليلة شتا

الشيطانة وعصا الجحيم
أنين وردة
لا تتعجلي الرحيل
بدون
من الأكاديمية إلى الفيلا
بردية رع (ذهاب وعودة)
كاتب ونساء وعبث
جيهينا
مذكرات خادمة من مونار
بعيداً عن العالم
قمر الدم (العودة)
سئمت الغربة
هكذا ضعنا
حلم
شيء من قلبي
قطوف وحروف
عائدة من الموت
شياطين السموم
حوار في الأفكار
وأد الزهور
أغاني البادية
الفراشة البيضاء
مدينة حرف
عذرية ما قبل الواحدة صباحا
حواديت مدينة الرحاب
الضحية
غيمات حبر وحب

كهف الجحيم
الحبيب المستحيل
تنمية التفكير الابتكاري للطفل
المنهج الإصلاحي
نفيش
ورد وشظايا
ولوج
الفن مين يعرفه
كريتوس
عهد
نبض حرف لا يخون
عبد اللاه
ساكني الكهوف
أخبرت البحر عنك
أحرفي تتراقص
لا تحزني
حلم عاشق
إحساس درويش
أقلام حائرة
خشوع بمحراب الحب
قمر الدم (رحيل الآلهة)
أرض الفيروز
عبرات ضاحكة
أنا يحيى
نظم المعلومات المحاسبية
حكاياتي المحروسة
حروف من قلبي
على الأعراف

زواج افتراضي
رجماً بالغيب
ألمانتا
خواطر مع الريح
شمعة وقلم أحمر
أسلوب العدول في القرآن
الكريم
الفستان الأزرق
سيجار ولص ومأذنة
الحب المفقود
القيامة الوردية
كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
لماذا رحلت؟
جدال
التقارير المالية
موسم التوت
عبث
سلسلة المحاسب المتميز (ج١)
هل ستغفر لي
سفاح المدينة
ناروبري
حبيبة أمها
التيسير في علم التأسيس
همسات ونسمات
الملاك الأسود
ملكوت السلطانة
أنات عاشق
ساعة من الزمن

زمان غادرنا
رقة النسائم
سبعة أحلام
في انتظار المد
نداء القلوب
درب الحكايات
ضجيج البحر
من تربة الورد خلقت
شهوات العقل
قطرات منثورة
أكروفوبيا
خِدر مسلوب
دروب ملتوية
سوط الذكريات
الأخيذة (قضية رأي عام)
المأدبة
سيناء أرض العبور
الذكاءات المتعددة
دكتاتورية الحب
الفراشات لا تسكن القبور
تذكرة سفر
وخشعت قلوبهم
وطن الجومانجي
نموذج بايبي البنائي
المدينة الهادئة
السفينة
رشفة عشق
المسكالين

حرف تايه
حروف نابضة
الراقدون فوق التراب ج١
أيقونة حروف عربية
ولاد الشيخ
فضفضة
الراقدون فوق التراب ج٢
بائعة اللبن
مركب شراع
غشاء حضارة
عظماء في الظل
الوصايا
معك دائما
نون وياء
اليمني
عندما يفوح الياسمين
عنوان مجهول
ترانيم
من بعد غياب
الرحيل إلى الداخل
ليالي باريس الحزينة
هكذا تكلم أبي
النحو الميسر
قيد الماس
أرض دي بلو
مناجاة
لحظة داخل إنسان
الذين أخفوا الشمس

أقلام نابضة
حكايا منتصف الليل
برواز على جدار القلب
كبير العيلة
وصمة عار
أخرى بضم الألف
اغتصاب أعشاب البحر
في ظل الحبر - ج١
أصعب فراق
للحب أكتب (أحمد وأحلام)
للحب أكتب (نادر ونورهان)
للحب أكتب (فارس ونادين)
اعرف دينك (ج١)
علماء صاروا شهداء
ضفاف
تأشيرة حياة
مجانين لا يدخلون الجنة
وجوه عابرة
امرأة خرافية
فيلم كارتون
أحوال منطقة أزواغ
محاولات
أربعون عام من الفقر
حطام زاحف
فوق السحاب
كلمات الحياة
إعصار الدم
العشق المنتظر




**شركة لوتس للإنتاج والتوزيع**

**كتاب لوتس - مشروع النشر الحر**

رقم الإيداع

**2019MO1286**

**الترقيم الدولي ISBN**

**978-9920-796-15-6**



